

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

ارس

تِلَاكُ

الدُّعَاءُ الْكَبِيرُ إِلَى اللَّهِ

أَعَدَّهُ:

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان

زاد الداعية إلى الله

فضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين

أعدّه:

فهد بن ناصر السليمان



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ
يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ،
وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى مَحْجَةِ بَيْضَاءَ لَيْلِهَا
كَنْهَارِهَا لَا يُزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، فَصَلَّواتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وَأَسْأَلُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجْعِلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَتْبَاعِهِ بَاطِنًا
وِظَاهِرًا، وَأَنْ يَتُوفَانَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَنْ يُحْشِرْنَا فِي زَمْرَتِهِ، وَأَنْ
يَدْخُلَنَا فِي شَفَاعَتِهِ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا بِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

* أما بعد:

فأيها الأخوة: إنه ليسرُّني أن ألتقي بإخواني المسلمين هنا^(١) وفي أي مكان آخر يُرجى منه الخير، ونشر هذا الدين، لأن الله تعالى أخذ على كل من أعطاه علمًا، أخذ عليه ميثاقًا بما أعطاه من العلم أن يبينه للناس ولا يكتمه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، [سورة آل عمران، الآية: ١٨٧]. وهذا الميثاق الذي أخذه الله ليس وثيقةً تكتب ويشاهدها الناس، ولكنها وثيقة تعلم بما أعطى الله صاحبها من العلم، فإذا أعطاه الله العلم فإن هذه هي الوثيقة التي واثق الله بها هذا الرجل أو هذه المرأة التي أعطاه الله علمًا، فعلى كل من عنده علم أن يبلغ ما علمه من شريعة الله سبحانه وتعالى في أي مكان وفي أي مناسبة.

* أيها الأخوة: إن موضوع محاضرتنا هذه: «زاد الداعية إلى الله عز وجل» والزاد لكل مسلم هو ما بينه الله عز وجل في قوله: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [سورة البقرة،

(١) جامعة الملك عبدالعزيز جدة.

الآية: ١٩٧]. فزاد كل مسلم هي تقوى الله - عز وجل - التي كرر الله - تعالى - ذكرها في القرآن أمراً، وثناءً على من قام بها وبيانا لثوابه، وغير ذلك من أساليب الكلام: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصروا على مافعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ - ١٣٦] . .

* أيها الأخوة الكرام: ربما تقولون: ماهي التقوى؟

فالجواب: ماأثر عن طلق بن حبيب رحمه الله حيث

قال: (التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو

ثواب الله). فجمع في هذه العبارات بين العلم، والعمل،

واحتساب الثواب، والخوف من العقاب فهذه هي التقوى.

وإننا نعلم جميعاً أن الداعية إلى الله - عز وجل - أولى

الناس أن يتحلى بهذا الخلق بتقوى الله في السر والعلن.

وإنني ذاكر بمعونة الله عز وجل في هذا المقام ما يتعلق بالداعية وما ينبغي أن يتزود به :

*** الزاد الأول: أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه،**

على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن كل علم يتلقى من سواهما فإنه يجب أن يعرض عليها أولاً وبعد عرضه فإما أن يكون موافقاً أو مخالفاً. فإن كان موافقاً قبل، وإن كان مخالفاً وجب رده على قائله كائناً من كان، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر وعمر» إذا كان هذا في قول أبي بكر وعمر الذي يعارض به قول رسول الله، ﷺ، فما بالكم بقول من دونها في العلم والتقوى والصحة والخلافة؟ إن ردّ قوله إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، من باب أولى ولقد قال - عز وجل - : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذابٌ أليم﴾. [سورة النور، الآية: ٦٣]. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أندري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك».

وإن أول زاد يتزود به الداعية إلى الله عز وجل أن يكون

على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله، ﷺ،
 الصحيحة المقبولة، وأما الدعوة بدون علم فإنها دعوة على
 جهل والدعوة على الجهل ضررها أكبر من نفعها لأن هذا
 الداعية قد نصب نفسه موجهاً ومرشداً فإذا كان جاهلاً فإنه
 بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله، ويكون جهله هذا
 جهلاً مركباً والجهل المركب أشد من الجهل البسيط، فالجهل
 البسيط يمسك صاحبه ولا يتكلم ويمكن رفعه بالتعلم،
 ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجاهل المركب إن هذا
 الجاهل المركب لن يسكت بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ
 يكون مدمراً أكثر مما يكون منوراً.

* أيها الأخوة: إن الدعوة إلى الله على غير علم خلاف
 ما كان عليه النبي، ﷺ، ومن اتبعه، استمعوا إلى قول الله
 تعالى آمراً نبيه محمداً، ﷺ، حيث قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي
 أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨]، فقال: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
 بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، أي أن من اتبعه، ﷺ، فإنه لا بد أن
 يدعوا إلى الله على بصيرة لا على جهل.

* وتأمل أيها الداعية لله قول الله - تعالى - : ﴿على بصيرة﴾ أي على بصيرة في ثلاثة أمور:

* على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالماً بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجباً وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرماً وهو في دين الله غير محرم فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم .

* على بصيرة في حال الدعوة ولهذا لما بعث النبي ، ﷺ ، معاذاً إلى اليمن قال له : «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب» .
ليعرف حالهم ويستعد لهم . فلا بد أن تعلم حال هذا المدعو مامستواه العلمي؟ ومامستواه الجدلي؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله ، لأنك إذا دخلت مع مثل هذا في جدال وكان عليك لقوة جدله صار في هذا نكبة عظيمة على الحق وأنت سببها ، ولا تظن أن صاحب الباطل يخفق بكل حال فإن الرسول ، ﷺ ، قال : «إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع» فهذا يدل على أن المخاصم وإن كان مبطلاً قد يكون

ألحن بحجته من الآخر فيُقضى بحسب ماتكلم به هذا
المخاصم فلا بد أن تكون عالماً بحال المدعو.

* على بصيرة في كيفية الدعوة قال الله تعالى: ﴿ادعُ إلى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي
أحسن﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥] .

* وبعض الناس قد يجد المنكر فيهجم عليه، ولا يفكر في
العواقب الناتجة عن ذلك لا بالنسبة له وحده، ولكن بالنسبة
له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق، لذا يجب على الداعية قبل
أن يتحرك أن ينظر إلى النتائج وقيس، قد يكون في تلك
الساعة ما يظفي لهيب غيرته فيما صنع لكن سيخمد هذا
الفعل نار غيرته وغيره غيره في المستقبل، قد يكون في المستقبل
القريب دون البعيد لهذا أحث أخواني الدعاة على استعمال
الحكمة والتأني، والأمر وإن تأخر قليلاً لكن العاقبة حميدة
بمشيئة الله تعالى .

وإذا كان هذا أعني تزود الداعية بالعلم الصحيح المبني
على كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، هو مدلول النصوص
الشرعية فإنه كذلك مدلول العقول الصريحة التي ليس فيها
شبهات ولا شهوات، لأنك كيف تدعو إلى الله - عز وجل -

وأنت لاتعلم الطريق الموصل إليه ، لاتعلم شريعته كيف
يصح أن تكون داعية؟!

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فإن الأولى به أن يتعلم أولاً
ثم يدعو ثانياً: قد يقول قائل: هل قولك هذا يعارض قول
النبي، ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»؟

الجواب: لا لأن الرسول، ﷺ، يقول: «بلغوا عني»
إذاً فلا بد أن يكون مابلغه قد صدر عن رسول الله، ﷺ،
هذا هو مانريده ولسنا عندما نقول إن الداعية محتاج إلى العلم
لسنا نقول إنه لا بد أن يبلغ شوطاً بعيداً في العلم، ولكننا
نقول لا يدعو إلا بما يعلم فقط ولا يتكلم بما لا يعلم.

*** الزاد الثاني: أن يكون الداعية صابراً على دعوته،**
صابراً على ما يدعو إليه ، صابراً على ما يعترض دعوته ، صابراً
على ما يعترضه هو من الأذى.

أن يكون صابراً على الدعوة أي مثابراً عليها لا يقطعها
ولا يميل بل يكون مستمراً في دعوته إلى الله بقدر المستطاع وفي
المجالات التي تكون الدعوة فيها أنفع وأولى وأبلغ ، وليصبر
على الدعوة ولا يميل فإن الإنسان إذا طرقة الملل استحسر
وترك، ولكن إذا كان مثابراً على دعوته فإنه ينال أجر

الصابرين من وجه ، وتكون له العاقبة من وجه آخر ، واستمع إلى قول الله عز وجل مخاطباً نبيه : ﴿ تَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة هود، الآية : ٤٩] ،

ولا بد أن يكون الإنسان صابراً على ما يعترض دعوته من معارضات ومجادلات لأن كل إنسان يقوم داعياً إلى الله - عز وجل - لا بد أن يعارض : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ﴾ . [سورة الفرقان، الآية : ٣١] ، فكل دعوة حقه لا بد أن يقوم لها معارض ، لا بد أن يقوم لها ممانع ، ومجادل فيها ومشكك ، ولكن يجب على الداعية أن يصبر على ما يعترض دعوته حتى لو وصفت تلك الدعوة بأنها خطأ أو أنها باطل وهو يدرك أنها مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله ، ﷺ ، فليصبر على ذلك .

ولكن هذا لا يعني أن الإنسان يصرّ على ما يقول ، وما يدعو إليه ، وإن تبين له الحق ، فإن الذي يصرّ على ما يدعو إليه وإن تبين له الحق يشبهه من قال الله فيهم : ﴿ يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ ، [سورة الأنفال، الآية : ٦] ، والمجادلة في الحق بعد ما تبين صفة مذمومة ، وقد قال الله فيمن اتصف بها :

﴿ومن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .
 [سورة النساء، الآية: ١١٥]، فما يعترض دعوتك أيها الداعية إن كان حقاً فالواجب عليك الرجوع إليه، وإن كان باطلاً فلا يثني عزمك عن المضي قدماً في دعوتك.

* كذلك لابد أن يكون الداعية صابراً على ما يعترضه هو من الأذى لأن الداعية لابد أن يؤذى إما بالقول وإما بالفعل، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أودوا بالقول وأودوا بالفعل اقرأ قول الله - عز وجل - : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٢]. مارأيك فيمن يأتيه الوحي من ربه ويقال في وجهه إنك ساحر أو مجنون؟ لاشك أنه يتأذى ومع هذا فالرسل صبروا على ما أودوا بالقول وعلى ما أودوا بالفعل؛ انظر إلى أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام كان قومه يمرون به وهو يصنع الفلك ويسخرون به فيقول لهم : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ . [سورة هود،

الآيتان: ٣٨، ٣٩]. ولم يقتصر الأمر بهم على السخرية به، بل توعدوه بالقتل: ﴿قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين﴾. [سورة الشعراء، الآية: ١١٦]. أي من المقتولين رمياً بالحجارة، هنا تُوعَد بالقتل مع تهديد بأننا قد رجمنا غيرك إظهاراً لعزتهم وأنهم قد رجموا آخرين وأنت منهم، ولكن هذا لم يثن نوحاً، عليه الصلاة والسلام، عن دعوته بل استمر حتى فتح الله بينه وبين قومه، وهذا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، قابله قومه بالرفض بل شهروا به بين الناس: ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦١].

ثم توعدوه بالإحراق: ﴿قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٨]. فأوقدوا ناراً عظيمة ورموه بالمنجنيق لبعدهم عنها لشدة حرراتها ولكن قال رب العزة والجلال: ﴿قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]. فكانت برداً وسلاماً ونجا منها، فكانت العاقبة لإبراهيم: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]. وهذا موسى عليه الصلاة والسلام توعدوه فرعون بالقتل فقال:

﴿ذروني أقتل موسى وليدعُ ربّه إنّي أخافُ أن يبدّل دينكم أو أن يظهرَ في الأرض الفساد﴾. [سورة غافر، الآية: ٢٦]. فتوعده بالقتل ولكن آخر الأمر كانت العقبي لموسى، عليه الصلاة والسلام: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾، [سورة غافر، الآية: ٤٥]. وهذا عيسى، عليه الصلاة والسلام، حصل له من الأذية ما حصل حتى رماه اليهود بأنه ابن بغي، وقتلوه على زعمهم وصلبوه ولكن الله تعالى يقول: ﴿وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبههُ لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً بل رفعهُ الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [سورة النساء، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨]. فنجّي منهم، وهذا خاتم الرسل وإمامهم وسيد بني آدم محمد، ﷺ، قال الله عنه: ﴿وإذ يمكُرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكُرُ الله والله خيرُ الماكرين﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٣٠]. ﴿وقالوا ياأيها الذي نُزّل عليه الذكرُ إنك لمجنون﴾. [سورة الحجر، الآية: ٦]. ﴿ويقولون أئنّا لتاركوا آهتنا لشاعر مجنون﴾. [سورة الصافات، الآية: ٣٦]. وحصل من أذيتهم القولية والفعلية ما هو معلوم لدى العلماء في التاريخ ومع هذا صبر فكانت العاقبة له.

إذن فكل داعية لابد أن يناله أذى ولكن عليه أن يصبر، ولهذا لما قال الله - تعالى - لرسوله، ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، [سورة الإنسان، الآية: ٢٣]. كان من المتوقع أن يقول الله فاشكر نعمه الله على تنزيل هذا القرآن، ولكن الله قال له: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾. [سورة الإنسان، الآية: ٢٤]. إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بُدَّ أن يناله ما يناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم، فعلى الداعية أن يكون صبوراً وأن يستمر حتى يفتح الله له، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته؛ بل إن المهم أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته، فإنه حي قال الله - عز وجل -: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢]. ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقى روحه في جسمه فقط بل أن تبقى مقالته حية بين الناس، وانظر إلى قصة أبي سفيان مع هرقل وكان قد سمع بمخرج النبي، ﷺ، دعا أبا سفيان فسأله عن النبي، عن ذاته، ونسبه، وما يدعو إليه، وأصحابه فلما أخبره

أبو سفيان عما سأله عنه قال هرقل له: «إن كان ماتقول حقاً فسيملك ماتحت قدمي هاتين». سبحان الله من يتصور أن ملكاً إمبراطورياً كما يقولون يقول مثل هذا القول في محمد، ﷺ، وهو مع ذلك لم يحرق جزيرة العرب من رقّ الشيطان والهوى، من يتصور أن مثل هذا الرجل يقول مثل هذا القول؟، ولهذا لما خرج أبو سفيان قال لقومه: «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر»، «أمر» يعني عظم ومنه قوله - تعالى -: ﴿لقد جئت شيئاً إمرأاً﴾ (٢) أي عظيماً.

وقد ملك النبي، ﷺ، ماتحت قدمي هرقل بدعوته لابسخصه، لأن دعوته أتت على هذه الأرض واكتسحت الأوثان والشرك وأصحابه، وملكها الخلفاء الراشدون بعد محمد، ﷺ، ملكوها بدعوة النبي، ﷺ، وبشريعة النبي، ﷺ، إذن على الداعية أن يصبر وستكون العاقبة له إذا كان صادقاً مع الله سواء في حياته أو بعد مماته.

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾. [سورة الأعراف، الآية: ١٢٨]. وقال الله - تعالى -: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠].

* **الزاد الثالث: الحكمة** فيدعو إلى الله بالحكمة ومأمراً بالحكمة على غير ذي الحكمة. الدعوة إلى الله بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم الجدل بالتي هي أحسن لغير الظالم، ثم الجدل بما ليس أحسن للظالم، فالمراتب إذن أربع. قال الله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. [سورة النحل، الآية: ١٢٥]. وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

* إن الحكمة: إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل الأمور منازلها وتوضع في مواضعها، ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها. ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، لأن حكمة الله - عز وجل - تأبى أن يكون هذا الأمر، ويدلك لهذا أن محمداً رسول الله، ﷺ، وهو الذي ينزل عليه الكتاب نزل عليه الشرع متدرجاً حتى استقر في النفوس وكمل. فرضت الصلاة في المعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل سنة

ونصف، وقيل خمس سنين، على خلاف بين العلماء في هذا. ومع هذا لم تفرض على وضعها الآن، أول ما فرضت كانت ركعتين للظهر والعصر والعشاء والفجر وكانت المغرب ثلاثاً لأجل أن تكون وترًا للنهار، وبعد الهجرة وبعد أن أمضى رسول الله، ﷺ، ثلاث عشرة سنة في مكة زيدت صلاة الحضر فصارت أربعاً في الظهر والعصر والعشاء وبقيت صلاة الفجر على ما هي عليه لأنها تطول فيها القراءة وبقيت المغرب ثلاثاً لأنها وتر النهار.

والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة أو فرضت في مكة لكنها لم تقدر تقديرًا في أنصبتها وواجبها ولم يبعث النبي، ﷺ، السعاة لأخذ الزكاة إلا في السنة التاسعة من الهجرة فكان تطور الزكاة على ثلاث مراحل: في مكة ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾^(١)، ولم يبين الواجب ولا مقدار ما يجب فيه ذلك الواجب وجعل الأمر موكولاً إلى الناس، وفي السنة الثانية من الهجرة بينت الزكاة بأنصبتها. وفي السنة التاسعة من الهجرة صار النبي، ﷺ، يبعث السعاة إلى أهل المواشي والثمار لأخذها.

فتأمل مراعاة أحوال الناس في تشريع الله - عز وجل - وهو أحكم الحاكمين . وكذلك في الصيام لا يخفي علينا أنه تطور في تشريعه فكان أول ما فرض يخير الإنسان بين أن يصوم أو يطعم ، ثم تعين الصيام ، وصار الإطعام لمن لا يستطيع الصوم على وجه مستمر .

* أقول إن الحكمة تأبى أن يتغير العالم بين عشية وضحاها فلا بد من طول النفس ، واقل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق ، وتدرج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل ، ولا يكن الناس عندك على حد سواء ، فهناك فرق بين الجاهل والمعاند .

*** ولعل من المناسب أن أضرب أمثلة من دعوة الرسول ﷺ :**

* المثال الأول : دخل رجل أعرابي والنبي ، ﷺ ، جالس في أصحابه في المسجد فبال الأعرابي في طائفة من المسجد فزجره الناس - والزجر هو النهر بشدة - ولكن النبي ، ﷺ ، وهو الذي أعطاه الله - تعالى - من الحكمة نهاهم ، فلما قضى بوله أمر ﷺ أن يراق على بوله ذنوياً من ماء - يعني دلواً - فزالَت المفسدة فدعا الرسول ، ﷺ ، الأعرابي فقال له : « إن هذه

المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر إنما هي للصلاة وقراءة القرآن». أو كما قال، ﷺ، فانشرح صدر الأعرابي لهذه المعاملة الحسنة، ولهذا رأيت بعض أهل العلم نقل أن هذا الأعرابي قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا. لأن محمدًا، ﷺ، عامله هذه المعاملة الطيبة أما الصحابة رضوان الله عليهم فسعوا في إزالة المنكر من غير تقدير لحال هذا الرجل الجاهل.

* المثال الثاني: معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - جاء والنبى، ﷺ، يصلي بالناس فعطس رجل من القوم فقال الحمد لله - فإذا عطس أحد في الصلاة فليقل الحمد لله سواء في القيام أو في الركوع أو في السجود - قال هذا الرجل: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله، وهذا خطاب لآدمي يبطل الصلاة فرماه الناس بأبصارهم وجعلوا ينظرون إليه فقال معاوية: واثكل أميَّاه - والثكل الفقد وهذه كلمة تقال ولا يراد معناها، وقد قالها النبى، ﷺ، لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قال قلت: بلى يارسول الله. قال: كف عليك هذا أخذ بلسانه

وقال: كفه عليك فقال معاذ - وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به قال: «ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». ثم مضى معاوية - رضي الله عنه - في صلاته فلما أتم الصلاة دعاه النبي، ﷺ، قال معاوية - رضي الله عنه - فوالله ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه - اللهم صلي وسلم عليه - والله ما كهرني، ولا نهرني وإنما قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح، والتكبير وقراءة القرآن». أو كما قال، ﷺ، انظر إلى الدعوة المحببة إلى النفوس يقبلها الإنسان وينشرح بها صدره.

ونأخذ من الحديث من الفوائد الفقهية: أن من تكلم في الصلاة وهو لا يدري أن الكلام يبطل الصلاة فإن صلاته صحيحة.

* المثال الثالث: جاء رجل إلى النبي، ﷺ، فقال: يارسول هلكت. قال: «مأهلكك؟». قال: وقعت على امرأتي في رمضان وأنا صائم. فأمره النبي، ﷺ، أن يعتق رقبة، فقال: لأجد، ثم أمره أن يصوم شهرين متتابعين، قال: لأستطيع، ثم أمره أن يطعم ستين مسكيناً، فقال:

لا أستطيع، فجلس الرجل. فأتى النبي، ﷺ، بتمر فقال: خذ هذا فتصدق به. ولكن الرجل طمع في كرم النبي، ﷺ، الذي هو أعظم كرم لمخلوق، فإن رسول الله، ﷺ، أكرم الناس فقال الرجل أعلى أفقر مني يارسول الله، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر مني، فضحك النبي، ﷺ، حتى بدت أنيابه أو نواجذه. لأن هذا الرجل جاء خائفاً يقول: «هلكت» فذهب غانماً فقال النبي، ﷺ: «أطعمه أهلك» فذهب الرجل مطمئناً غانماً فرحاً بهذا الدين الإسلامي، وبهذا اليسر من الداعية الأول لهذا الدين الإسلامي صلوات الله وسلامه عليه.

* المثال الرابع: ولننظر كيف عامل عامل النبي، ﷺ، مرتكب الإثم: رأي النبي، ﷺ، رجلاً وفي يده خاتم ذهب فنزعه النبي، ﷺ، بيده الكريمة وطرحه في الأرض وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده». فالنبي، ﷺ، لم يعامله معاملة الأولين بل نزعه من يده وطرحه في الأرض، فلما انصرف النبي، ﷺ، قيل له خذ خاتمك انتفع به فقال: والله لا آخذ خاتماً طرحه النبي، ﷺ، الله أكبر هذا الامثال العظيم من الصحابة - رضوان الله عليهم -.

المهم أنه يجب على الداعية أن يدعو إلى الله - عز وجل - بالحكمة فليس الجاهل كالعالم وليس المعاند كالمستسلم، فلكل مقام مقال ولكل منزلة حال.

*** الزاد الرابع : أن يتخلق الداعية بالأخلاق الفاضلة بحيث**

يظهر عليه أثر العلم في معتقده، وفي عبادته، وفي هيئته، وفي جميع مسلكه حتى يمثل دور الداعية إلى الله، أما أن يكون على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل وإن نجحت فإنها نجاحها قليل.

فعلى الداعية أن يكون متخلقاً بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك حتى تكون دعوته مقبولة وحتى لا يكون من أول من تسعّر بهم النار.

*** أيها الأخوة: إننا إذا نظرنا إلى أحوالنا وجدنا أننا في الواقع**

قد ندعو إلى شيء ولكننا لانقوم به وهذا لاشك أنه خلل كبير، اللهم إلا أن يحول بيننا وبينه النظر إلى ما هو أصلح لأن لكل مقام مقالاً. فالشيء الفاضل قد يكون مفضولاً لأمر تجعل المفضول راجحاً ولهذا كان الرسول، ﷺ، يدعو إلى بعض الخصال ولكنه يشتغل أحياناً بما هو أهم منها، وربما

يصوم حتى يقال لا يفطر، ويفطر حتى يقال لا يصوم .
 * أيها الأخوة: إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقاً بالأخلاق التي تليق بالداعية حتى يكون داعية حقاً وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول .

*** الزاد الخامس أن يكسر الداعية الحواجز التي بينه وبين الناس** لأن كثيراً من إخواننا الدعاة إذا رأى قوماً على منكر قد تحمله الغيرة وكرهه هذا المنكر على أن لا يذهب إلى هؤلاء ولا ينصحهم ، وهذا خطأ وليس من الحكمة أبداً؛ بل الحكمة أن تذهب وتدعو، وتبلغ وترغب، وترهب ولا تقل هؤلاء فسقه لا يمكن أن أمشي حولهم . إذا كنت أنت أيها الداعية المسلم لا يمكن أن تمشي حول هؤلاء ولا أن تذهب إليهم لدعوتهم إلى الله فمن الذي يتولاهم؟ أيتولاهم أحد مثلهم؟ أيتولاهم قوم لا يعلمون؟ أبداً ولهذا ينبغي للداعية أن يصبر، وهذا من الصبر الذي ذكرناه سابقاً أن يصبر نفسه ويكرهها وأن يكسر الحواجز بينها وبين الناس حتى يتمكن من إيصال دعوته إلى من هم في حاجة إليها، أما أن يستنكف فهذا خلاف ما كان الرسول ﷺ، يفعله، والنبي، ﷺ، كما هو معلوم كان يذهب في أيام منى إلى المشركين في أماكنهم

ويدعوهم إلى الله وقد أثر عنه أنه، ﷺ، قال: «ألا أحد يحملني حتى أبلغ كلام ربي فإن قریشاً منعتني أن أبلغ كلام ربي». فإذا كان هذا دأب نبينا، وأمامنا، وقدوتنا محمد، ﷺ، فإنه من الواجب علينا أن نكون مثله في الدعوة إلى الله.

*** الزاد السادس : أن يكون قلب الداعية منشراحاً لمن خالفه**

لا سيما إذا علم أن الذي خالفه حسن النية وأنه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده، فإنه ينبغي للإنسان أن يكون مرناً في هذه الأمور وأن لا يجعل من هذا الخلاف مثاراً للعداوة والبغضاء اللهم إلا رجل خالف معانداً بحيث يبين له الحق ولكن يصر على باطله فإن هذا يجب أن يعامل بما يستحق أن يعامل به من التنفير عنه وتحذير الناس منه لأنه تبين عداوته حيث بين له الحق فلم يمثل.

*** وهناك مسائل فرعية يختلف فيها الناس وهي في الحقيقة**

مما وسع الله فيه على عباده - وأعني مسائل ليست من الأصول التي تبلغ إلى تكفير المخالف - فهذه مما وسع الله فيها على العباد وجعل الخطأ فيها واسعاً، قال النبي، ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر

واحد». فالمجتهد لا يخرج عن دائرة الأجر أبداً فيما أجران إن أصاب، وإما أجر واحد إن أخطأ، وإذا كنت لا تريد أن يخالفك غيرك فإن غيرك أيضاً يريد أن لا يخالفه أحد، فكما أنك تريد أن يأخذ الناس بقولك، فالمخالفون لك يريدون أيضاً أن يأخذ الناس بقولهم، والمرجع عند التنازع ما بينه الله - عز وجل - في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٠]. ويقول - عز وجل -: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩]، فيجب على كل المختلفين والمتنازعين أن يرجعوا إلى هذين الأصلين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يحل لأحد أن يعارض كلام الله ورسوله بكلام أحد من البشر مهما كان، فإذا تبين لك الحق فالواجب أن تضرب بقول من خالفه عرض الحائط، وأن لا تلتفت إليه مهما كانت منزلته من العلم والدين، لأن البشر يخطئ لكن كلام الله ورسوله ليس فيه خطأ.

* ويؤسفني أن أسمع عن قوم يعتبرون جادّين في طلب الحق والوصول إليه ومع ذلك نجدهم متفرقين، لكل واحد

منهم اسم معين أو وصف معين، وهذا في الحقيقة خطأ، إن دين الله - عز وجل - واحد، وأمة الإسلام واحدة يقول الله - عز وجل - : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٥٢]. ويقول الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد، ﷺ : «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون». [سورة الأنعام، الآية: ١٥٩]. وقال - عز وجل - : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾، [سورة الشورى، الآية: ١٣]. فإذا كان هذا توجيه الله - عز وجل - لنا فالواجب علينا أن نأخذ بهذا التوجيه، وأن نجتمع على بساط البحث، وأن يناقش بعضنا بعضاً على سبيل الإصلاح لا على سبيل الانتقاد أو الانتقام، فإن أي إنسان يجادل غيره ويحاج بقصد الانتصار لرأيه واحتقار رأي غيره أو لقصد الانتقاد دون الإصلاح فإن الغالب أن يخرجوا على وجه لا يرضي الله ورسوله، فالواجب علينا في مثل هذا الأمر أن نكون أمة واحدة، وأنا لا أقول إنه لا يخطئ أحد، كل يخطئ، ويصيب، ولكن الكلام في

الطريق إلى إصلاح هذا الخطأ، ليس الطريق إلى إصلاح الخطأ أن أتكلم في غيبته وأقده فيه، ولكن الطريق إلى إصلاحه، أن أجمع به وأناقشه فإذا تبين بعد ذلك أن الرجل مصرّ على عناده، وعلى ما هو عليه من باطل فحينئذٍ لي العذر ولي الحق بل يجب عليّ أن أبين خطأه، وأن أحذر الناس من خطئه، وبهذا تصلح الأمور، أما التفرق والتحزب فإن هذا لا تقرُّ به عينٌ أحد، إلا من كان عدوًّا للإسلام والمسلمين، والله أسأل أن يجمع قلوبنا على طاعته وأن يجعلنا من المتحاكمين إلى الله ورسوله وأن يخلص لنا النية ويبين لنا ما خفي علينا من شريعته إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

الصفحة

الموضوع

- ٣ المقدمة
- ٤ بيان زاد كل مسلم
- ٥ معنى التقوى
- ٦ * الزاد الأول: العلم
- ٧ الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب
- ٧ البصيرة تكون في ثلاثة أمور
- ١٠ إذا لم يكن عند الإنسان علم فهل يدعو إلى الله؟
- ١٠ * الزاد الثاني: الصبر:
- ١٠ الصبر على الدعوة
- ١١ الصبر على ما يعترض الدعوة
- ١٢ بيان حال الرسل عليهم الصلاة والسلام
- استنباط عجيب دقيق من قوله - تعالى - : ﴿إنا نحن

- ١٥ نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ﴿﴾ .
- ١٦ نصر الله - تعالى - للدعوة
- ١٧ * **الزاد الثالث: الحكمة**
- ١٧ مراتب الدعوة
- ١٧ تعريف الحكمة
- ١٨ مراعاة أحوال الناس في التشريع وأمثلة
- تنزل الناس منازلهم في الدعوة وأمثاله من دعوة
- ١٨ الرسول ﷺ
- ٢٠ - ١٩ المثال الأول والثاني
- ٢١ المثال الثالث
- ٢٢ المثال الرابع
- ٢٣ * **الزاد الرابع: الخلق الحسن**
- ٢٣ متى يكون الفاضل مفضولاً
- * **الزاد الخامس: أن يزيل الداعية ما بينه وبين الناس**
- ٢٤ **من حواجز**
- إذا كان الداعية يستنكف من دعوة الفساق
- ٢٤ فمن لهم؟

ذهاب النبي ، ﷺ ، إلى المشركين في أماكنهم

٢٤ ودعوتهم

٢٥ * الزاد السادس: انشراح القلب للمخالف

٢٥ كيف يعامل الإنسان من خالفه

٢٥ أحوال المجتهد

٢٥ المرجع عند التنازع

٢٦ التفرق وخطره

٢٨ طريق الإصلاح

٢٩ الفهرس

الجمع التصوري والإخراج - الفرقان ٤٠٢٩٨٦٥ - ٤٠٤٣٧٣٢

يطلب من:

مؤسسة الجريسي للتوزيع

الرياض ١١٤٣١ - ص.ب: ١٤٠٥

٤٠٣٩٣٢٨ - ٤٠٢٢٥٦٤ ☎

جدة: ٦٨٢٦١٠٥ ☎ - الدمام: ٨٢٦٠٤٣٧ ☎

المدينة: ٨٣٨٠٥٢٩ ☎ - القصيم: ٣٦٤٣٤٦٦ ☎

أبها: ٢٢٢٠٤٨٥ ☎

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض

٩٢٥٢
١